

الحبيب ﷺ أبا رحيمًا وجدًا عطوفًا

دخل النبي ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجودُ بنفسه، فجعلتُ عينا رسول الله ﷺ تذرْفان! فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» (رواه البخاري).

كان النبي ﷺ مع أولاده نعم الأب الحنون، والجد العطوف، فكان ﷺ رحيمًا بالأطفال إلى درجة لم يُسمع بمثلها؛ قال أنس رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)، ومن ذلك:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «وَكَاثَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ابْنَتُهُ - فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَامَ إِلَيْهَا فَاقْبَلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَاقْبَلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا» (رواه الترمذي).

حفاوة الحبيب ﷺ بأبنائه وتقبلهم

فكان من هديه ﷺ الاحتراف بهن والعطف عليهن؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرَّحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ» (متفق عليه)، وكان «إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ قَامَ إِلَيْهَا، فَاقْبَلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ» (رواه الترمذي).

بل أنكر ﷺ على الآباء جفاة القلوب فعلهم وجمود علاقتهم بأبنائهم، فقد قبَّل ﷺ ابن بنته حُسينًا وضمَّه إليه وجعل يشمُّه وعندَه رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فعجب لذلك الأنصاري وقال: «إِنَّ لِي ابْنًا قَدْ بَلَغَ مَا قَبْلَتْهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ، فَمَا ذَنْبِي؟!» (رواه أحمد).



ما دلالة إنكار النبي ﷺ على الرجل الذي لم يقبل أحدًا من أبنائه قط؟

رفق الحبيب ﷺ بأبنائه وحملهم وتحملهم

ومن صور ذلك ما رواه لنا بُرَيْدَةُ بن الحبيب رضي الله عنه قال: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَيْهِمَا فَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْتُرَانِ [يعتران: أي يمشيان مشي صغير يميل في مشيه تارة إلى هنا وتارة إلى هنا ليضعفه في المشي] وَيَقُومَانِ، فَتَزَلُ فَأَخَذَهُمَا فَصَعَدَ بِهِمَا الْمُنْبَرِ»، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ»، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ.

(رواه أبو داود)



وذات يوم كان الحسن أو الحسين يجلس على بطنه ﷺ فبال، فسارع من كان في البيت ليحمله عن رسول الله ﷺ فما كان منه ﷺ إلا أن قال: «دَعُوا ابْنِي لَا تُفْزِعُوهُ حَتَّى يَقْضِيَ بَوْلَهُ»، ثُمَّ أَتْبَعَهُ الْمَاءَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ بَيْتَ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، وَدَخَلَ مَعَهُ الْغَلَامُ فَأَخَذَ تَمْرَةً فَجَعَلَهَا فِيهِ فَاسْتَخْرَجَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا» (رواه أحمد).

وكان ﷺ يسطحب معه بعض أحفاده إلى المسجد رحمةً بهم وتعليمًا لهم وهم صغار، يروي لنا أحد الصحابة عن ذلك فيقول: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: «فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ»، قَالَ النَّاسُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلَّتْهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ»، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ!!» (رواه النسائي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيَّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهْشُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ: أَلَا أَرَى تَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، وَاللَّهِ لَيَكُونُ لِي الْإِبْنُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبْلَتْهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ» (رواه ابن حبان).



كيف جمع النبي ﷺ بين تربيته لأبنائه وأحفاده ورحمته بهم، وأعباء الدعوة والحياة رغم مسؤولياته الكبيرة وأعباء الدعوة العظيمة؟

حرص الحبيب ﷺ على أبنائه وإسداء النصيح إليهم

فكثيراً ما كان يعظ ابنته فاطمة رضي الله عنها ويقول لها: «يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (رواه مسلم). وفي رواية أخرى يقول لها: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتُ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (رواه البخاري). ويروي لنا علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ عليه مع زوجته فاطمة ذات ليلة فقال: «لَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٌّ يَضْرِبُ فِخْذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: «وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» (متفق عليه).



كيف يمكنك التوازن مقتدياً بالرسول ﷺ بين الرحمة والعطف على الأبناء وتعليمهم وتأديبهم؟

تأديب الحبيب ﷺ لأبنائه

قال النبي ﷺ: «وَإِنَّمِ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (متفق عليه).

وذات يوم أخذ حفيده الحسن رضي الله عنه تمرًا من تمر الصدقة فوضعها في فمه فلم يتركها النبي ﷺ حتى أخرجها وعليها ريقه، وألقاها في الصدقة، وقال: «كَيْخ، كَيْخ، كَيْخ!! إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَنَا» (متفق عليه)

ولم يقتصر حبه ﷺ على البنين من أحفاده دون البنات، فورد عنه ﷺ حملة لحفيدته أمّامة ولو كان في صلاة؛ قال أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّاسِ، وَأَمَامَهُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ - وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبِ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ - عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا» (رواه مسلم). وفي رواية: «.. فَكَانَ إِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا» (رواه البخاري).



هل اللعب مع الأطفال وإضحاحهم والرحمة بهم من خوارم المروءة؟! وضح ذلك من سيرته ﷺ.

حرص الحبيب ﷺ على حقوق أبنائه

كان النبي ﷺ كوالدٍ حريصًا على حقوق أبنائه، ومن صور ذلك: «لَمَّا تَزَوَّجَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطَهَا شَيْئًا» قَالَ: «مَا عِنْدِي شَيْءٌ»، قَالَ: «أَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطْمِيَّةُ؟» (رواه أبو داود). وعن علي بن أبي طالب «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ، بَعَثَ مَعَهَا بِخُمَيْلَةٍ، وَوِسَادَةَ مِنْ أَدَمٍ حَشُوهَا لَيْفٌ، وَرَحِييْنِ، وَسِقَاءٍ، وَجَرَّتَيْنِ» (رواه أحمد).

خوف الحبيب ﷺ على أبنائه

فقد كان ﷺ كثيرًا ما يرقى أحفاده خوفًا عليهما من الحسد والعين فكان يقول: «أُعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامِيَةٍ» (رواه الترمذي). [الْهَامَةُ: كُلُّ ذَاتِ سُمٍّ يَقْتُلُ، وَالْعَيْنُ اللَّامِيَةُ: أَيُّ عَيْنٍ تُصِيبُ بِسُوءٍ].



حُسن اختيار الرجل لزوجته هو من حقوق أبنائه عليه، وضح ذلك.

حزن الحبيب ﷺ على وفاة أبنائه

وكان يحزن حزناً شديداً على وفاتهم، وتذرف عيناه الدمع على فراقهم؛ وهذه دموع الرحمة والشفقة تسيل من عيناه الشريفتان ﷺ، فلما دخل ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينار رسول الله ﷺ تذرفان! فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» (رواه البخاري).

وقد ابتلي ﷺ بفقد جميع ذريته من الذكور والإناث، ولم يبق بعد وفاته إلا فاطمة رضي الله عنها التي توفيت بعده بستة أشهر.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه في نبأ وفاة أم كلثوم رضي الله عنها: «شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ» (رواه البخاري).

كيف تقتدي به ﷺ

1. كن أباً رحيماً مع أبنائك عطوفاً عليهم ليرحمك الله، كما قال ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» (متفق عليه).
2. كن معلماً ومؤدباً لأبنائك واحرص على تعليمهم ما ينفعهم كما كان يفعل ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132].
3. اعدل بين أبنائك ولا تميز أحداً منهم على أحدٍ في النفقة والمعاملة.
4. العب معهم وأضحكهم ورفه عنهم وتحملهم ولا تتأفف من ذلك، بل استمتع به كما كان ﷺ يفعل.
5. قم بحقوق أبنائك عليك باختيار زوجة صالحة تكون لهم أمماً صالحة، وأحسن اختيار أسماء أولادك، وقم بتربيتهم والعناية بهم.
6. صل على خير الأنام الرحيم العطوف ﷺ وتعلم منه الإحسان والعطف على الأبناء، وإياك والغلظة والجفاء.